منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث والحساب
- دراسة موضوعية -

ا.م.د علي مجدي علاوي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية/ قسم التربية الاسلامية
Alimm.edbs123alli12350uomstansiriyahedu.iq.

الكلمات الافتتاحية
معرفة ، الخلائــق، الجزاء ، المحسن ، الكافر

ملخص البحث

يهدف البحث الى معرفة ان الله (سبحانه وتعالى) يعيد الخلائق مرة اخرى للحساب والبعث من جديد ليجزي المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته بالرغم من كل الدعوات التي تدعو الى الكفر والالحاد والتي لبست ثوب الزيف والخداع والتضليل لأن ذلك من المستحيل وغير الممكن بعد أن فني الجسد واصبحت العظام رميماً، لا تقوى على الحراك والقوة، لكن منهج القرآن الكريم واضح الدلالة بأسلوبه المعاصر يرد على هؤلاء بصريح العبارة وبأسلوب متقن فجاء البحث متكون من ثلاثة مباحث ,وهي:-

المبحث الاول : منكري البعث والحساب- قراءة في الشبهات وخصائصها

المبحث الثاني :- الخصائص القرآنية – قراءة في الرد على منكري البعث والحساب

المبحث الثالث:- اساليب الرد القرآني .وخاتمة والله ولي التوفيق.

Methology of the Holy Quran in Responding to those Denying Doomsday and Resurction

Dr . Ali Majdi Alwai
Univevsity of ALMustansiriya /College of Basic Education
Department of Islamic Education

Alimm. Edbe 123 alli 12350uomstansiriyahhedu. Iq

Keywords :Knowledge, morals, Punishment, Good- moral man, Unbeliever

Abstract

The research goal is to know that Allah (Glory be to Him) restores creation again to reckoning, resurrection and reward in order to reward the benefactor for his goodness and punish the offender for his offense. Despite all the calls for disbelief and atheism, that wear dress of falsehood, deception and disillusions that this is impossible after the body's decomposition of the body and the bones became rubbish and unable to move and strength. The methodology of the Holy Qur'an is clear in its contemporary style to respond clearly and perfectly ; so , the research comes with three axes and conclusion.

المقدمة

الحمد لله الخبير البصير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير، وعلى آله وأصحابه وذرياته والسائرين على نهجه القويم وبعد..

فلا يخفى على أحدٍ منا هذه المستجدات التي تمر بها أمتنا الإسلامية، من معطيات التقدم الفكري والحضاري، وفي المقابل ما تعانيه من أزمات متلاحقة، وما تواجهه من فتن متعاقبة، وما تكابده من اعداء متربصين، يمكرون لها ليلاً ونهاراً، لا سبيل إلى العصمة منها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي أنزله ربنا هدىً وتبياناً لكل شيء في ضوء ما اشتمل عليه من هداية وحكم وأحكام وقصص وأمثال.

والمتتبع لنزول القرآن الكريم – سورة وآية – من حيث زمن النزول وأسبابه والنظر في مناسبات السور والآيات التي قبلها والتي بعدها، ليدُرك أن منهج جميع الرسل والأنبياء أنهم أنذروا الناس بمجيء يوم القيامة لتجزى كل نفس بما عملت، وليجازي الله سبحانه المحسن على أحسانه ويعاقب المسيء على إساءته.

فالقرآن الكريم واجه دعوات الكفار والملحدين بأسلوب فريد من نوعه إذ جمع بين اساليب البلاغة والأقناع وبين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية ما يكون قد وفى بالغرض الذي جاء من أجله.

وفي مسألة خلق الإنسان وإنشائه وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة.. وخلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق ذلك الإنسان الضعيف، كل هذه الحقائق تدل على أن الله (سبحانه وتعالى) قادر كل القدرة على البعث والإحياء مرة أخرى.. وعلى الرغم من كل الدعوات التي تنطلق بين الحين والآخر بدعاوى جديدة فتلبسه بثوب المعاصرة والعلم الحديث.. التي تدعوا الى الالحاد والكفر وعدم التصديق بالبعث للإنسان مرة اخرى، بعد ان فني جسده ورممت عظامه، نجد موقف القرآن الكريم واضح الدلالة ذو منهج صريح في الرد على شبهات مثل هؤلاء الذين لبسوا قناع الزيف في تضليل جُهال الناس وعامتهم فجاء

البحث الموسوم (منهج القرآن الكريم في الرد على منكري البعث والحساب).

والذي تضمن على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: منكري البعث والحساب – قراءة في الشبهات وخصائصها.

المبحث الثاني: الخصائص القرآنية – قراءة في الرد على منكري البعث والحساب.

المبحث الثالث: اساليب الرد القرآني .

منكري البعث والحساب – قراءة في الشبهات وخصائصها

إن تركيز القرآن الكريم بالرد على منكري البعث والحشر والنشور والإحياء، إنما لخطورة الشبهات التي ساقوها، فهي على الرغم من افتقارها إلى أسس علمية تقوم عليها، إلا أنها قامت على النفي والأنكار المجردين ومخاطبة العقل الساذج بتصوير استحالة البعث □ على المشاهدات اليومية المألوفة.

والحوار مع منكري البعث والنشور والحساب، من أعظم المعضلات التي واجهت الرسل (عليهم السلام) والانبياء وقد أشتد المكذبون فيها وشددوا في الأنكار والتكذيب.

وهذه علة كثير من الانحرافات اليوم، كما هو الحال في كل زمان ومكان، إذ يعولون على ما تمليه عليهم عقولهم على الوحي الرباني، والعقل على النقل،فالمشركون لم تحتمل عقولهم الضعيفة إمكانية البعث.

ومنكرو البعث ثلاثة أصناف هم:

الصنف الأول/ الدهريون / أو طائفة يُقال لهم الدوريَّة (الدهرية)هو اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام ويشتق المصطلح من الدهر لاعتبار الزمان أو الدهر هو السبب الاول للوجود وأنه غير مخلوق ولا نهائي وتعتبر الدهرية ان المادة لا فناء لها.

وهؤلاء القائلون بإنكار الخالق والبعث والإعادة، بالطبع المحيي والدهر المفني، والذين أخبر عنهم القرآن المجيد في قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}.[1]

إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصراً للحياة والموت على تركها وتحللها، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر[2]

الصنف الثاني/ جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية:

وهم منكرو البعث والإعادة: إذ أقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن.[3]

في قوله تعالى { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ }[4]

الصنف الثالث: ملاحدة الجهمية ومن وافقهم

وهم المقرون بالمعاد: وهؤلاء على غير الصفة التي جاء بها القرآن، وذلك الاعتقاد ببعث الأرواح فقط، وقد ذكر القرآن الكريم أن البعث للروح والجسد معاً يوم القيامة، كما قال تعالى { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ }[5]

أن المتتبع لشبهات المنكرين التي ساقها القرآن الكريم يراها لا تخرج عن الأطر الآتية:

1. الأنكار قياساً على الرؤية العيانية، وأنهم لم يروا أحداً ممن مات عاد إلى الحياة الدنيا، ولذلك أحتج المشركون بإعادة الموتى من آبائهم، كما في قوله تعالى { إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[6].
2. أن الأجساد إذا فنيت، والعظام إذا بليت كيف يتسنى إعادة بعثها إلى الحياة مجدداً؟ قال تعالى ذاكراً هذه الحجة بقوله { أَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}[7].

فالكافرون يقولون: إذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا وصرنا تراباً، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟[8]

فانكروا البعث ووصفوه بالرجع البعيد، أي مستبعد في الاوهام والفكر[9] . فهم في شك وحيرة من قدرة الله تعالى على خلقهم خلقاً جديداً بعد صيرورتهم تراباً. فالتبس عليهم، واختلط ما ألفوه واعتادوه على الحقيقة التي يقرّ بها العقل السليم، فهم إذا سئلوا من خلقهم؟ أجابوا: الله سبحانه وتعالى{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }.[10]

بل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس قال تعالى:{ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[11].

3. التخبط في الرد: ويظهر هذا في تباينهم في تكذيب القرآن الكريم، فقد وصفوه تارة بالسحر المبين قال تعالى:{سحر مبين}[12]. وتارة وصفوه بالاساطير قال تعالى: {اساطير الأولين}[13]. وتارة بأنه قول شاعر، وقول كاهن قال تعالى:{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ }[14] . وتارة وصفوه بأنه دعوى مجنون كما في قوله تعالى { فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ }[15]. وهذا تحميق منهم بأنهم طاشت عقولهم، يتقنوا التكذيب، ولم يرسوا على وصف الكلام الذي كذبوا به[16].

4. أحكامهم صادرة عن ظن مجرد، أو عن إتباع لهوى النفس من دون دليل، والظن لا يغني عن اليقين، والحق شيئاً، ولا يدحضه. فاليقين أن الله أخرجهم من العدم واحياهم، ثم يميتهم، ثم ليحيهم مرة أخرى[17].

قال تعالى { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[18].

5. اللجاج في السؤال عن الساعة: لقد ذكر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) : في شأن من انكر قدوم الساعة حديث (قال من المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال اخبرني عن امارتها قال : ان تلد امه ربتها وان ترى الحفاة العراة يتطاولون في البنيان)، ولما علم المشركون والكافرون أن الساعة أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأنها تأتي بغتة، لج منكرو البعث بالسؤال عنها، ظناً منهم أنهم بهذا يقيمون الحجة على بطلان البعث، إذ لا علاقة منطقية بين البعث وبين قيام الساعة يترتب عليها صحة الايمان بالبعث، فإن كان قيام الساعة امر معلوما أم مجهولاً. فالبعث متحقق قطعاً، ولكنهم انكروا الساعة تمهيداً لإنكار البعث. قال تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

}[19]. فيحق للإنسان أن يعجب من قوم يكذبون بشيء، ومع هذا فهم يكثرون السؤال عنه، فالمشركون يكذبون بيوم الساعة، فالناظر في القرآن الكريم يجد المشركون يكذبون بيوم الساعة من جهة ويكثرون بالسؤال منها من جهة ثانية، وكثرة سؤالهم ، أما سؤال المختبر الممتحن للنبي (صلى الله عليه وسلم) . وأما سؤال المتعجب المستغرب، وأما سؤال المستهين المستهزئ، وأما سؤال يدفعهم إليه شعورهم بأن الله خالقهم ولم يخلقهم هكذا عبثاً، وتحثهم الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الايمان به، وأنه عادل، وأنه لابد من يوم ينصف فيه المظلوم ويقتص من الظالم، وعلى هذا الحال نحن بصدد رد القرآن الكريم على سؤالهم عن الساعة بكثرة[20]

6. افتعال الخصومة: أشار القرآن الكريم إلى افتعال منكري البعث للخصومات قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}[21]، لذا قبح الله (عزَّ وجلّ) منكري البعث تقبيحاً عجيباً دل على تمادي كفر الإنسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسة وتغلغه في القحه، إذ قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وامهنهِ وهو النطفة القذرة ، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار، وشزر صفحته لمجادلته، ويركب متن الباطل ، ويلج ويمحك ، ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في الزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمع وراءها[22]. وقد يتحول الخصام إلى نار تضرم في قلب المخاصم عندما لا يقوى على منازعة خصمه، فيتجمل بالأقوال، وهو يتحين الفرص، ينتقم من خصمه كيداً، وغدراً، كما فعل الأخنس بن شريق الذي نزل فيه قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[23] ، فقد كان رجلاً حلو المنطق وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين، وقد كانت بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زرعهم بعد أن اهلك مواشيهم[24].

المبحث الثاني
الخصائص القرآنية – قراءة في الرد على منكري البعث والحساب

استخدم القرآن الكريم في ردوده على المنكرين للبعث ردوداً مختلفة وبأساليب فنية متنوعة تجعل المتأمل فيها مذهولاً أمام عظمة تعبير القرآن وبلاغته وطريقته في معالجة المواضيع المختلفة التي يتناولها، فتارة يذكر منكري البعث بما حل بالمكذبين أمثالهم من الأمم التي قبلهم بسرد قصصهم، أو ارشاد المكذبين للسير في الأرض ليروا كيف دمر الله على أسلافهم ، وتارة يستخدم الترغيب والترهيب بعرض صور المؤمنين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم في جنة الخلد، وعرض صور المكذبين بالله واليوم الآخر، وما أعد الله لهم من عذاب اليم في الدنيا والآخرة بإلقائهم في جهنم خالدين فيها بما كذبوا بلقاء الله سبحانه، وتارة يقررهم على أنفسهم، وتارة يعرض بعقولهم وأنهم قد عطلوهم فهم لا يؤمنون، تارة يستخدم القسم.

وساق القرآن الكريم الحجج الدامغة والبراهين الواضحة في الرد على المنكرين ومن خصائص هذا الرد:

1. **قدرة الله تعالى**: اقتران الرد بالتذكير بقدرة الله تعالى، ويظهر ذلك جلياً في فاتحة سورة (ق) قال تعالى { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ }[25]. وكذا في باقي الآيات اللاحقة.

وهذا الرد يوافق الصنف الثاني الذي آمنوا بالحق وأنكروا البعث، إذ أن إيمانهم بالخالق يقتضي الإيمان بقدرته، فأن كان لا يعجزه أن يخلق السماء والأرض، ولا يعجزه أن ينزل الماء من السماء، وأنبت النباتات المختلفة أيعجزه بعث الموتى؟

وقد بيّن الله تعالى أن تعجبهم ليس في محله، بل العجب الحقيقي هو تعجبهم من قدرة الله تعالى، جاء ذلك في قوله تعالى {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ}[26].

وضح تعالى سبب كفرهم واستبعادهم ما ليس ببعيد وأنهم بادروا بالتكذيب من دون تفكير ولا تأمل ولا نظر فيما حواه من الحق، بل كذبوا به أول وهلة، ولذا (فهم في أمر مريج) في أمر مختلط عليهم ملتبس، لا يعرفون حقه من باطله[27].

قال الطبري: (ثم استدل عليهم بدليل عقلي، فقال عزَّ وجلَّ سائلاً عن شيء لا يسعهم في الجواب عنه إلا الاقرار، تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا (إذا متنا

وكنا تراباً ذلك رجع بعيد). يقول لهم جلَّ ثناؤه (أفعيينا بابتداع الخالق الأول الذي خلقناه، ولم يكن شيئاً، فنعياً بإعادتهم خلقاً جديداً بعد بلائهم في التراب، وبعد فنائهم؟ ليس يعيينا ذلك بل نحن عليه قادرون)[28].

فهم يعلمون أن الخالق الأول للأشياء أعظم من اعادة خلق الأموات، ولكن تمكن منهم اللبس الشديد، فأغشى ادراكهم عن دلائل الامكان[29].

2. **الدعوة إلى التأمل:** حرص القرآن الكريم على دعوة المنكرين إلى التأمل في النفس والبدء، والمعاد، مشهد بعث المنكرين وحشرهم.

وقد تكررت هذه الدعوة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى {أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}[30]. فالنص القرآني يشير الى الذين انكروا قدرة الله تعالى على البعث، ويطلب منهم الإقرار، لأنهم لا يستطيعون الفرار من الاجابة، وأنهم قد نظروا، والى السماء فوقهم، أفلم يعلموا كيف بنيناها ، فسويناها سقفاً محفوظاً، وفي التعبير (فوقهم) دلالة على سهولة ذلك عليهم، إذ لا يكلفهم سوى رفع رؤوسهم (وزيناها) بالنجوم {وما لها من فروج} يعني: وما لها من صدوع فتوق وهي على اتساعها لا يرى لها اعمدة، وليس لها تصدع منذ خلقها الله تعالى[31].

3. **التفكر:** إن مصير الأمم السابقة ليس غريباً على المشركين، أو على أهل الكتاب، فأمرهم معروف بينهم، وأن مصيرهم غير خافٍ عليهم، وأن ما حل بهم إنما كان بسبب كفرهم وانكارهم نبوات المرسلين – عليهم السلام.

قال تعالى {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}.[32]

فقوم نوح – عليه السلام- أول من كذب بالرسل، وما أصاب الرسل وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم تبع، فهم من العرب[33]. ومن هؤلاء من يرون آثارهم عياناً في الحجر، وكالقرية التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل، وهم قوم لوط – عليه السلام- يمرون عليهم مصبحين وبالليل في اسفارهم، فأن أول تلك الأمم ليسوا شراً منهم[34].

4. **الصبر**: الإنسان أسير عاداته وقناعاته، ومن العسير أن يغير الإنسان ما عليه من فكر أو سلوك بين ليلة وضحاها، لذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالصبر على المشركين في قوله تعالى

{ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ }[35].

5. **العقل**: لقد تحجج المشركون بالعقل في انكار البعث بدعوى أن البعث مخالف للعقل، والقرآن الكريم لم يلزمهم الإيمان بالبعث استناداً إلى أقوال الرسل – عليهم السلام –

بل قارعهم بأسلوبهم نفسه ، فدعاهم إلى تحكيم العقل، وهذا يؤكد أن الإسلام هو دين العقل، فهو يلفت انظار الكفار للنظر في الآفاق فإذا لم يتعظوا بالكتاب المقروء المجيد، فليتعظوا بالكتاب المنظور وهو الكون..

وقد أمر الله تعالى الناس بالقياس العقلي السليم رداً على قياسهم الفاسد، وأحتج على منكري البعث بالنشأة الأولى[36] ، كما في قوله تعالى :

{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ}[37].

فرد القرآن على منكري البعث بطريقة لفت أنظارهم إلى حقيقة خلقهم، وإلى عظيم قدرة الله عزَّ وجلَّ، وينبههم إلى أن من قدر على أنشاءهم أول مرة قادر على أن يعيدهم مرة ثانية، وليست الثانية بأهون من الأولى، بل كلتاهما تستويان عند الله، لأن أمره ما بين الكاف والنون " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [38]سورة يس الاية:82.

6. **التهديد بالعذاب:** لم يلجأ القرآن الكريم إلى التهديد بالعذاب في معرض مجادلة منكري البعث إلا لبيان قدرة الخالق الذي يزعمون الايمان به على أن ينزل عليهم عذاباً، كما في قوله تعالى:

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ}[39].

7. **البعث:** إنّ الشريف لا يكذب، وإن أقسم الشريف على أمر ، فهذا دلالة على عظم هذا الأمر وخطورته وأهميته، ولاسيما أنّ لم يكن الشريف مضطراً إلى القسم، فأن كان هذا حال الشرفاء من البشر، فما بالك برب العالمين إذا أقسم بوقوع البعث؟

فقد أخبر سبحانه وتعالى بوقوع البعث حتماً، وقد تنوع اخبار الله تعالى بوقوعه، فتارة يقسم بنفسه على وقوعه ، وتارة يقسم على وقوعه بما شاء من مخلوقاته، وتارة يأمر رسله بأن يقسموا بالله على وقوعه، وتارة يخبر عنه المنكرين أنفسِهم أنهم يُقسمون على وقوعه عندما يقفون بين يدي الله تعالى، وأحياناً يرّد القرآن على المنكرين عن طريق ذم المكذبين بالمعاد ومدح المؤمنين به، وهو من باب الترغيب والترهيب[40].

8. **الاحياء الفعلي في الحياة الدنيا:** لقد ذكر الله سبحانه وتعالى (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ)[41] وقد ورد هذا في بضعة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى

حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[42].

9- إحياء الموتى : في إحياء الموتى رد واضح على الدهريون الذين ينكرون الخالق (سبحانه وتعالى) ، ويزعمون ان الطبيعة هي التي أوجدتهم، فالجواب عن مقالتهم: ما الذي يمنع الطبيعة من إعادة تشكيل خلقهم مجدداً كما أحدثهم أول مرةٍ؟ فإن كان الماء يحي البذور وتنبت، فلا مانع من يُحي غيرها من الموات وما كان حياً من قبل أولى بالإحياء من غيره.

يقول الله تعالى **(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ)**[43].

فمن قَدِر على إخراج كائن حيّ من جماد ميت، لا بدَّ أن يكونَ قادراً على إعادة الاجساد كما يراها، وكذلك مَنْ اخرج من الشجر الاخضر ناراً قادر على أن يحي الموتى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ)[44].

فها هنا قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الاخضر، وإخراج الشيء من ضده وإنّ هذا ليس بالأمر المستحيل او المُتعذر. ويَستدل الامام أبو منصور الماتريدي بقوله تعالى **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ)**[45].

فناقش الدهرية في مسألة البعث بعد الموت وردَّ عليهم فقال(أي خلق آدم ابي البشر من طين، فأمّا خلق بني أدمَ من ماء كقوله تعالى **(أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ)**[46]. أخبر الله تعالى أنّهُ خلق آدمَ من الطين، وخلق بني آدم سوى عيسى – عليه السلام- من النطفة، وخلق عيسى لا من الطين ولا من الماء، ليعلموا أنه قادر على انشاء الخلق لا من شيء، وانّه لا اختصاص للخلق بشيء، ولا ينكرون أيضاً إنشاء الخلق وإحياءهم وموتهم، وذلك لأنه لا يخلو، إما ان صاروا تراباً أو ماء أو حجارة أو حديداً فاذا رأوا أنّه خلقَ أدم من الطين، وخَلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى – عليه السلام- لا من هذين، كيف أنكروا إنشاء الخلق بعد الموت، ولا هو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا، فيكون دليلاً على منكري البعث بعد الموت اعلى الدهرية في انشاء الخلق لا من شيء ، فأنهم ينكرون ذلك ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم والله الهادي.

10- التحدي والاعجاز :

قال تعالى **(وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً * وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً)**[47].

فدعاهم أن يكونوا حجارة، وهي أبعد شيء من الحياة ثم دعاهم الى أن يكونوا الى ما هو أبعد وهو الحديد، ثم دعاهم الى أن يكونوا أي شيء يعتقدون أنه أبعد شيء عن الحجارة والحديد تستعظمه قلوبهم ويَعظمُ في زعمكم على الله إحياؤه مما هو أشدّ امتناعاً وصلابةً فإنّ الله تعالى سيعيدكم ويحييكم ويبعثكم كما فطركم أول مرة ، فإن الرفات والعظام من الحجارة والحديد وغيرها بالنسبة الى قدرة الله تعالى ، فهو الذي خلق العظام، والحجارة والحديد وكل شيء أول مرة فهو قادر على إعادتها بعد ذلك[48].

11- حالهم في الآخرة :

رسمت بعض الآيات القرآنية صور تفصيلية دقيقة لحال منكري البعث يوم القيامة وهذه الصور ان لم تكن وازعاً للإيمان، فهي على أقل تقدير تَقضُ مضجع الكافر وتصيبه بالحيرة والضيق ومن هذه الصور قوله تعالى **(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)**[49].

الآية الكريمة تصور حالهم يوم الحساب حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم من الحياء والخجل[50].

ومما ورد من تصوير الانفعالات النفسية على طريقة الوصف المباشر قوله تعالى **(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)**[51].

فيصور النصّ الكريم الخوف العالق بنفوسهم في مشهد رهيب من مشاهد القيامة، فيه تضيق النفوس وتخفق القلوب حتى كأنّها ترتفع عن مواضعها من شدة الضيق فتلتصق بالحناجر، فلا تخرج ليستريحوا، ولا ترجع الى أماكنها ليرتاحوا، فهي غصَّة تُثقل صدورَهم، وتُكرب انفاسهم وهم على تلك الحال لا يجدون قريباً يشفق عليهم او يبثون اليه آلامهم ولا شفيعاً ذا كلمات مسموعة يسعى الى تفريج الكرب ودفع المكروه ويزيد من وحشة الصورة قوله تعالى **(مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)** ومثل هذا التعقيب يضفي على الصورة بعداً نفسياً يتمثل في تقرير الانفراد والوحدة، ومن ثُمَّ فإنّ الصورة بشقيها تعين على استحضار حال هؤلاء الظالمين وهم بين كرب شديد وانفراد موحش[52].

12- الاغترار بالحياة الدنيا

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)**[53].هذه الآية اتت في سياق الرد على منكري البعث ولمّا ذكر دلائل وحدانية سبحانه في الآيات المتقدمة، أمر في هذه الآية بتقواه على سبيل الموعظة والتذكير بيوم القيامة وخشية اليوم أي يوم الخوف من اهوال ما يقع فيه، والأمر تتضمن وقوعه فهو كناية عن إثبات البعث[54]. والمراد بالوعد، أي ان وعد الله حق بذلك اليوم حق ثابت متحقق، والجملة مستأنفة

استئناف بيان كأنَّه لما قيل: يا أيُّها الناس اتقوا ربكم وأخشوا يوماً...) سأل سائل ان يكون ذلك اليوم؟ فجاء الجواب بقوله (ان وعد الله حق) أي نعم يكون لا محالة لمكان الوعد به[55].فالجملة جواب لسؤال مقدر، ولذلك فصلت عن الجملة السابقة لها لشبه كمال الاتصال، وأكد الخبر بـ (إنّ) مراعاة لمنكري البعث، وفرع على هذا التأكيد إبطال شبهة منكري البعث بقوله (**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**) أي لا تغرنكم الحياة الدنيا بأن تتوهموا الباطل حقاً، والضر نفعاً، واسناد التغرير، وانما هي ظرف الغرور أو شبهه وفاعل التغرير حقيقة حجم الذين يضلونهم الاقيسة الباطلة فيشتبهون عليهم إبطاء الشيء باستحالة في قوله تعالى: (الدنيا ولا يغركم بالله الغرور) (والغرور) بفتح الغين اسم لمن يكثر منه التغرير وبسبب الانخداع والمراد به الشيطان بوسوسة في نفوس دعاة الضلالة من التمويه للباطل، وما يلقيه في نفوس اتباعهم من قبول تغريرهم[56].

المبحث الثالث
أساليب الرد القرآني

اعتمد القرآن الكريم أسلوب الجدال مع منكري البعث والزامهم الحجة، وقد اتصف اسلوبه هذا بجملة خصائص منها:

1- استعمل القرآن الكريم الإفراد بدل الجمع؛ للتقليل من شأن الجميع وكشف حقيقة أمره بأنه ضعيف محتاج، فمن ذلك إفراد الطفل في مقام قوله تعالى فيما امر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ان يرد منكري البعث : (**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)[57].

فقد ورد لفظ (الطفل) مفرداً للتقليل من شأن المخاطبين وتحقيرهم بعد أن استعظموا إعادتهم احياء بعد الموت.

قال ابن جني: " وحسن لفظ الواحد هنا، لأنه موضوع تصغير لشأن الانسان وتحقير لأمره، فلاقى به ذكر الواحد، لقلته عن الجماعة، ولأنّ معناه أيضاً: نخرج كل واحد منكم طفلاً .. وهو مما إذا سئل الناس عنه قالوا: وضع الواحد موضع الجماعة اتساعاً في اللغة، وأنسوا، حفظ المعنى، ومقابلة اللفظ به لتقوى دلالته عليه وتنضم بالشبه إليه"[58].

2- **التقديم والتأخير:** عند رده على منكري الساعة قال تعالى (**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ**)[59]. في حين قال تعالى في موضع آخر: (**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**)[60].

فالتقديم والتأخير في النظم كان للتناسب، اذ لمّا كان السياق الثاني حديثاً عن انكار الشرك والدعوة الى التوحيد الخالص ونفي الصاحبة والولد قدّم كلمة التوحيد، ثُمَّ ذكر أنّه (خلق كل شيء) ولمّا كان السياق الأول هو الحديث عن الخلق وتعداد النعم، خرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي الشرك، فتقدَّم قوله (خلق كل شيء) ثُمَّ قال (لا اله الا هو) فقدّم في سوره كل شيء ما يقتضيه التناسب السياقي[61]، فضلا عن ذلك كونه سبحانه المقصود هنا في سورة غافر الراد على منكري البعث، فناسب تقديم ما يدلّ عليه، وهو كونه سبحانه مُبدِئ كل شيء فكذا اعادته[62]، ثم شبه اِنصرافهم عن الأيمان مع وضوح الدلائل بانصراف غيرهم ممن كانوا يجحدون بآيات الله على الرغم من قيام الدليل، وهذه هي سنة الله في عباده في كل زمان ومكان.

3- **التوكيد:** استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد لبيان جُرم منكري البعث، كما في قوله تعالى (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)[63].

إذ أكد صفة الاجرام فيهم بقوله (أنهم كانوا مجرمين) وقد أوحى في الأخبار- (كانوا) على هذه الصفة بوجودها، وانها لم تفارق ذاتهم، فهي فيهم غريزة وطبيعة مركبة في نفوسهم[64].

ويذكر السياق شيئاً من دلائل القدرة وتأكيد حقيقة غاية الخلق، وذلك في قوله تعالى (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)[65].

ينبغي ما بداخلهم من أسباب ودوافع دفعتهم الى قولهم ذلك، فهذا الخلق العظيم لم يكن للهو واللعب، وإنّما لحكمة أرادها الخالق عز وجل، وتدبير ما في هذا الكون الفسيح يوقع في النفس هذه الحكمة أو الغاية، فلا عبث فيه، ويوصل النفس الى ان أمر الآخرة والجزاء حَتم لابدَّ منه لكي تتحقق النهاية الطبيعية للصلاح والفساد في الحياة الدنيا، وهذه هي مناسبة ذكر هذه الآيات بعد إنكار المشركين للبعث والحساب، ثُمَّ يؤكد هذه الحقيقة في الآية الأخرى(مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [66] ، على سبيل قصر خلقها على الحق التأكيد نفي البعث واللعب في خلقهما وما بينهما، ثم يأتي التذليل الذي يبدأ بالاستدراك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). تجهيلاً لمنكري البعث والجزاء وتوبيخا لهم وعدم ادراكهم لآيات الله في الكون وتأكيداً لذلك المعنى واستكمالاً للقاعدة في هذه الآية، فقد نفى الظلم عن نفسه جل جلاله قليله وكثيره، فاذا انتفت المبالغة انتفى غيرها[67]. أي تكامل الإيمان بين المسائل الدنيوية وبين المسائل الآخُروية، فتأكيد وقوع الساعة ونفي الريب عنها أمر أخُروي، ونفي ايمان كثير من الناس بوقوعها أمر دنيوي كما في قوله تعالى **(إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)**[68].

بدأت الآية بالتوكيد بـ (إنَّ) لأنَّ المقام يقتضي التوكيد، لا سيما إن المخاطبين منكرون فضلاً عن ذلك التوكيد بـ (اللام) في قوله (لآتية) كما اكدها باسمية الجملة في اصلها وكل ذلك لشدة انكار المنكرين، وعَقّب على مضمونها بجملة نفي جنس الارتياب أياً كان بقوله (لا ريبَ فيها) أي في ذاتها ونفسها)[69].

يشير نفي الريب عن وقوعها سؤال سائل، وكيف ينفي الريب عنها والريب الحاصل لكثير من الناس؟

فيأتي الاستدراك جواباً عن ذلك على سبيل الوصل استئنافاً بيانياً لوقوع (لكن) بعد واو العطف في الغالب[70]. وهذا يجسد العنت الشديد الذي واجهه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المشركين وإصرارهم على الكفر والضلال، ومن أشدّ ذلك إنكارهم للبعث والحساب وقيام الساعة، لذلك أكد القرآن الكريم وقوع الساعة والحساب إبطالاً لأنكار هؤلاء المنكرين.

4- **توظيف الطباق:** جاء توظيف الطباق في عدد من الآيات التي تَردّ على منكري البعث، كما في قوله تعالى **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا**

يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[71].

فالطباق بين (لا تأتينا) و (لتأينكم)، والآية المباركة هو إثبات لقدرة الخالق (عز وجل)، تلك القدرة في التصرف بالمخلوقات الصغيرة منها والكبيرة في السموات وفي الأرض وذلك التصرف العجيب الذي جاء رداً على منكري البعث والنشور وهو رد عليهم بتأكيد اتيانها[72].

لقد إنمازت الآية المباركة بإظهار علم الله تعالى وإحاطته بالأمور التي نيطت بها مصالح الناس الدينية والدنيوية فهو علام الغيوب[73]، يظهر ذلك بجلاء عن طريق تكرار النفي وتعدده الذي "أفاد تأكيد "[74] حقيقتين هي: **الأولى:** مجيء الساعة، **والأخرى** إحاطة علمه (عزّ وجلّ) بكلّ مخلوقاته، ولقد تداخل النفي المتعدد مع السلب لتأكيد الحقيقيين .

فافتتحت الآية المباركة بأسلوب المحاورة ما بين الكفرة والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أولئك الذين أنكروا إتيان الساعة بقولهم (لا تأتينا) الذي يشكلّ الطرف الاول لطباق السلب الاول، ويأتي الطرف الثاني له في رد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) على المشركين ذلك الرد الحاسم الجازم الذي أكد بعدة مؤكدات أولها في قوله تعالى : (قُل بلى) ذلك الحرف المختص بإبطال النفي[75]. بإثبات إتيان الساعة، وتأتي تلك المؤكدات وثالثها ورابعها في قوله تعالى (وربي لتأتينكم) الذي أكدّ بالقسم وباللام الواقعة في جوابه[76] ، وبنون التوكيد الثقيلة.

ويتداخل طباق الايجاب مع طباق السلب لتأكيد الحقيقة الثانية وهي أنّهُ سبحانه (**عَالِمُ الْغَيْبِ**) العالم بما لا يخفي عن الابصار ولا يغيب عن الانظار إذ لا يعزب عنه" ولا يغيب ولا يبعد عنه"[77]، ولا يفوته العلم بأدق الأوزان والمقادير أصغرها ممّا خلقه في طرفي الطباق الكونين (السموات والارض) ففيهما تتجلى دلائل القدرة لأنهما أظهر تلك المخلوقات واجلاها امام الابصار، كما ان مجيء هذين الطرفين الأسمين يؤكد ثبوت تلك الحقيقة الربانية[78] .

ويتولى الى الطباق في اثبات تلك المعاني الجليلة فيتألف طباق الايجاب مع طباق السلب بطرفيه المنفيين الذين قد وظفا لإثبات علم الله وإحاطته بكلّ ما خلق في ذلك الكون الفسيح في قوله تعالى : (وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ) ذلك أنّه لا يغيب عن علمه لا اصغر من الذرة وهي أدقّ الأوزان ولا أكبر منها والاسمية في طرفي الطباق المنفيين تأتي عدم الفصل قاطع لإثبات تلك الحقيقة (العلمي الإلهي).

إنَّ تداخلَ الطباق الوارد في الآية المباركة وتكراره يوفى الى ذلك الشمول وتلك الإحاطة بالعلم ثم تُؤكد تلك الحقيقة بما خُتمت به الآية المباركة (الا في كتاب مبين)، "أي الا ويعلمه، وهو في اللوح المحفوظ "[79] في الاستثناء ليؤكد نفي الغروب[80].

الخاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب هذا الموضوع، ألخص أهم النتائج ما يلي:

1- ركز القرآن الكريم على الرد على منكري البعث والحشر والنشور والإحياء، إنما لخطورة الشبهات الواردة فهو على الرغم من افتقارها على اسس علمية تقوم عليها، إلا أنها قامت على النفي والإنكار المجردين ومخاطبة العقل الساذج بتصدير استحالة البعث قياساً على المشاهدات اليومية المألوفة.

2- ان على كثير من الانحرافات هو تفضيل العقل على الوحي الرباني.

3- منكرو البعث ثلاثة أصناف هم: الدهريون الذين ينكرون الخالق والبعث والإعادة، **والصنف الثاني:** جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية، **والصنف الثالث:** ملاحدة الجهمية ومن وافقهم. وهؤلاء على غير الصفة التي جاء بها القرآن وذلك الاعتقاد ببعث الارواح فقط.

4- ن شبهات المنكرين لا تخرج عن الأطر الآتية: الإنكار قياساً على الرؤية العيانية، إن الأجساد اذا فنيت، والعظام اذا بليت لا يمكن بعثها.

5- اتصفت شبهات المنكرين بجملة الخصائص ، منها: العجلة في اصدار الاحكام من دون تثبيت أو تمحيص أو مخالفة الحقائق البديهية، والتخبط في الرد وصدور أحكامهم عن الظن المجرد، واللجاج في السؤال عن الساعة، وافتعال الخصومة .

6- استخدم القرآن الكريم في ردوده على منكري البعث والجزاء ردوداً مختلفة ومتنوعة منها اسلوب التغريب والترهيب وعرض لصور المكذبين والكافرين وتارة يعرض المنافقين والمكذبين والكافرين بالله واليوم الآخر وما حل بهم من اساليب الدمار الذي لحق بهم.

7- إبراز خصائص الخطاب القرآني في الرد على المنكرين : استعمال اسلوب الافراد للتقليل من شأن المنكرين والتأخير في النظم، والتوكيد لبيان جرم منكري البعث، وتكامل الإيمان بين المسائل الدنيوية وبين المسائل الآخروية، وتوظيف الطباق والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي(ت982هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
2. اساليب النفي في العربية- دراسة وصفية تاريخية، مصطفى احمد التماس، كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت 1399ه- 1979م؟
3. اسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ)، تحقيق عبد القادر احمد عطا، جار يوسلامة للطباعة والنشر- تونس،ط1403،3هـ- 1983م.
4. اسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي التحليل اللغوي، الدكتور خليل احمد عمايرة، عمان، بلا تاريخ.
5. البحر المحيط لابي عبد الله اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي، الشهير بابن حيان (ت 754هـ)، تحقيق : صدقيق محمد جميل/ دار الفكر بيروت، 1420هـ.
6. البرهان في علوم القرآن لابي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت 794هـ): تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، دار المعرفة بيروت، 1399هـ.
7. تأويلات اهل السنة لأبي منصور محمد بن محمد الماتردى (ت 333هـ)، تحقيق: أ.د مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان/ ط1426،1هـ 2005م.
8. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت 1393هـ - 1973م)، الدار التونسية للنشر ، تونس 1404هـ - 1984م.
9. التعبير القرآن للدكتور فاضل السامرائي ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1989م.
10. تفسير القرآن العظيم المشهور بـ (بتفسير ابن كثير، لأبي الفداء عماد الدين بن اسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي،(ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
11. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت 376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.
12. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطبري)، لأبي جعفر بن محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري)، (ت 310هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، مصر، ط1، 1420هـ - 2000م.
13. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت 671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1423هـ - 2003م.
14. حروف المعاني لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، (ت340هـ)، تحقيق: د. علي توفي الحمد، مؤسسة الرسالة ، ط1، بيروت، 1984م،
15. دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد ابو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط1، بلا تاريخ.
16. ردود القرآن على ذوي الجحود والأنكار، أحمد بن محمد شرشال، مجلة كلية الشريعة، جامعة الكويت ، العدد4، سنة 2001م .16. ردود القرآن على ذوي الجحود والأنكار، أحمد بن محمد شرشال، مجلة كلية الشريعة، جامعة الكويت ، العدد4، سنة 2001م .
17. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الرحمن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

18. في ظلال القرآن، سيد قطب، 1387هـ/ دار الشروق، الطبعة الشرقية الرابعة والثلاثون، 1425هـ - 2004م.
19. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
20. مجمع البيان في تفسير القرآن المعروف بـ (تفسير الطبرسي)، لإبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السيزاوري، (ت 548هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت، لبنان ، 1415هـ- 1995م.
21. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، لإبي الفتح عثمان بين جني ، (ت392هـ)، تحقيق : د. علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، لجنة احياء التراث الإسلامي، ط1، القاهرة، 1386هـ0 1966م.
22- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المعروف بـ (تفسير ابن عطية)، لابي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، ت 541هـ تحقيق: عبد السلام عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.
23. مفاتيح الغيب المعروف بـ (التفسير الكبير) ، وبـ (تفسير الرازي)، لإبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب، الرازي (ت 606هـ)، دار احياء التراث العربي، مصر، ط3، 1420هـ .
24. المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، (ت 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق والدار الشامية، بيروت، 1412هـ - 1992م.
25. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني،ت 548هـ تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1404هـ .
26. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د. عثمان علي حسن، دار اشبيلية للنشر، السعودية ،ط1، 1999م .
27. نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، لبرهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، (ت 885هـ) دار الكتب الاسلامي ، القاهرة ، بلا تاريخ.
28. النظم الفني في القرآن لعبد المتعال الصعيدي، القاهرة، بلا تاريخ.

الهوامش

(1) سورة الجاثية، الآية 24.
(2) ينظر: الملل والنحل، لمحمد بن عبدالكريم بن ابي بكر أحمد الشهرستاني،(ت 548هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1404هـ، 79/3.
(3) الملل والنحل: 79/3
(4) سورة يس، الآية 78.
(5) سورة القيامة، الآيتان 3-4.
(6) سورة الدخان، الآيتان 35-36.
(7) سورة ق، الآية 3.
(8) ينظر: تفسير القرآن العظيم المشهور بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر كثير القريشي الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ: 281/4.
(9) ينظر: البحر المحيط، لأبي عبدالله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي، الشهير بأبي حيان (ت754هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت، 1420هـ: 121/8.
(10) سورة الزخرف، الآية 87.
(11) سورة غافر، الآية 57..
(12) سورة الانعام من الآية 7.
(13) سورة الأنعام من الآية 25.
(14) سورة الحاقة، الآيتان 41-42.
(15) سورة الطور، الآية 29.
(16) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين ابي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ 249/7، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر عاشور (ت1393هـ 1973م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1404هـ 1984م، 285/26.
(17) ينظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، وعثمان على حسن، دار اشبيليا للنشر ، السعودية، 1999م، 469/1.
(18) سورة الجاثية، الآية 24-26.
(19) سورة الاعراف، الآيتان 187-188.
(20) ينظر: في ظلال القرآن 1409/3.
(21) سورة يس، الآية 77.
(22) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ 32/4.
(23) سورة البقرة، الآية 204.
(24) الكشاف 278/1.
(25) سورة ق، الآيات 1-6.
(26) سورة الرعد، الآية 5.
(27) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري* لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملي الطبري (ت 310هـ) تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، مصر، ط1، 1420هـ-2000م: 407/11-408، البحر 121/8، والتحرير والتنوير 26/ 284
(28) جامع البيان: 11/ 414.
(29) ينظر جامع البيان 409/11، تفسير القرآن العظيم 282/4، التحرير والتنوير 286/26
(30) سورة ق، الآيات 12-15

(31) ينظر جامع البيان: 409/11؛ تفسير القرآن العظيم: 282/4؛ التحرير والتنوير: 289/26.
(32) سورة ق، الآيات 12-15.
(33) ينظر: التحرير والتنوير: 295/26.
(34) ينظر: تيسير القرآن الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ) تحقيق: عبدالرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ 2000م: 53/1.
(35) سورة ق، الآية 36.
(36) ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة واي الفرقان، لابي عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي القرطبي (ت 671هـ) تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض، المملكة العربية السعودية 1423هـ 2003م: 40/15.
(37) سورة يس، الآيات 78-80.
(38) سورة يس ، الآية: 82.
(39) سورة سبأ، الآية 9.
(40) ينظر: ردود القرآن على ذوي الحجود والانكار، أحمد بن محمد شرشال، مجلة كلية الشريعة- جامعة الكويت، العدد 44، سنة 2001م: 73.
(41) سورة الحج، الاية:7
(42) سورة البقرة، الآية 259.
(43) سورة الانعام الاية2
(44) سورة يس الآيات 77- 80.
(45)ينظر البرهان في علوم القرآن ، لابي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي السافعي (ت 794هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، 1391هـ/62/2 منهج الجدول والمناظرة، 466/1.
(46) تأويلات اهل السنة، لابي منصور محمد بن محمد الماتر يدي، (ت 333هـ)، تحقيق :د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ط1، 1426هـ، 2005م، 1206/4- 3.
(47) سورة الاسراء، الآيات 49-54
(48) ينظر ردود القرآن 77.
(49) سورة السجدة، الآية 12.
(50) ينظر تفسير القرآن العظيم 467/3.
(51) سورة غافر ، الآية 18.
(52) ينظر: تفسير ابن كثير ، 6/ 740 .
(53) سورة لقمان ، الآية 33.
(54) مفاتيح الغيب المعروف بـ (التفسير الكبير)، (تفسير الرازي) لابي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القريشي الطبرستاني الاصل الشافعي المذهب الرازي (ت 606هـ)، دار احياء التراث العربي، مصر، ط3، 1420هـ : 25/ 143.
(55) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (1270هـ)، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1415هـ :145/11.
(56) ينظر التحرير والتنوير: 195/21.
(57) سورة غافر: الآية 67.
(58) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، لجنة احياء التراث الاسلامي، ط1، القاهرة، 1386هـ - 1966م: 296/2.
(59) سورة غافر: الآية :62.

(60) سورة الانعام : الآية : 102.
(61) ينظر اسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني(ت 505هـ)، تحقيق عبد القادر احمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس، ط3، 1403هـ 3، 1/1983، التعبير القرآني ، فاضل السامرائي، دار الكتب، جامعة الموصل، 1989- 63.
(62) ينظر روح المعاني: 83/24
(63) سورة الدخان: الآيات 34-37.
(64) ينظر: البرهان في علوم القرآن 123/4- 124.
(65) سورة الدخان: الآية 38.
(66) سورة الدخان : الآية 39.
(67) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 370/15.
(68) سورة غافر: الآية 59.
(69) ينظر: المحرر الوجيز المعروف بتفسير ابن عطية (ت 541هـ) 1413- 2993- 58/13.
(70) ينظر: التحرير والتنوير: 180/24.
(71) سورة سبأ : الآية 3.
(72) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن والمعروف (بتفسير الطبرسي) لأبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبري الطوسي السيزاوري، (ت 548هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان 1415هـ - 1995م: 377/8.
(73) ينظر: النظم الفني في القرآن ، لعبد المتعال الصعيدي، القاهرة ، بلا تاريخ : 251.
(74) اساليب : انفي في العربية- دراسة وصفية تاريخية ، مصطفى احمد النحاس ، كلية الاداب والتربية، جامعة الكويت، 1399هـ - 1979م: 197.
(75) ينظر : في ظلال القرآن : 60/22
(76) حروف المعاني، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، (ت340هـ)، تحقيق: د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة / ط1، بيروت، 1984م : 105.
(77) اسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي، الدكتور خليل احمد عمايرة، عمان ، بلا تاريخ: 43.
(78) المفردات في غريب القرآن الكريم - لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، (ت 502هـ)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية بيروت، 1412هـ 1992م : 345.
(79) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت 982هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ : 121/7.
(80) ينظر: دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، محمد ابو موسى، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط1، بلا تاريخ: 99